نشأة علم النحو

مقدمة:

يعد علم النحو من أسمى العلوم قدرا, أنفعها أثرا، به يتثقف أود اللسان، ويسلس عنان البيان، وقيمة المرء فيما تحت طي لسانه لا طيلسانه وقد صدق اسحق بن خلف البهراني في قوله:

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلُّها منـها مقيم الألسن

وبه يسلم الكتاب والسنة من عادية اللحن والتحريف، وهما موئل الدين وذخيرة المسلمين، فكان تدوينه عملا مبرورا، وسعيا في سبيل الله مشكورا.
قال ابن خلدون عن علم النحو:" إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة".

- نشأت اللغة العربية في أحضان جزيرة العرب خالصة لأبنائها مذ ولدت، نقية سليمة مما يشينها من أدران اللغات الأخرى.
- إلى أن سطع نور الإسلام على ماحول الجزيرة العربية بالفتوحات الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجا: يقول ابن خلدون:" فلما جاء الإسلام وفارقوا-أي المسلمين- الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول، وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها، ولجنوحها إليه باعتياد السمع، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا، ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابا، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا، وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها **بعلم النحو**"
- يقول الأنباري:" اعلم أيدك الله بالتوفيق، وأرشدك إلى سواء الطريق، أن أول من وضع علم العربية وأسس قواعده وحد حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي ... وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم ما روى أبو الأسود الدؤلي قال:" دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب رضي الله عنه فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم، فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب: الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبيء به، والحرف ما أفاد معنى، وقال لي: انحُ هذا النحو، وأضف إليه ماوقع إليك، واعلم ياأبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم. قال: ثم وضعت بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجب والاستفهام، إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها ماخلا لكنّ، فلما عرضتها على عليّ رضي الله عنه أمرني بضم لكنّ إليها، وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه، إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال: ما أحسن النحو الذي قد نحوت! فلذلك سمي النحو... وروي أن سبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم أنه سمع أعرابيا يقرأ : لايأكله إلا "الخاطئين" فوضع النحو."

- **<u>نماذج على ماوقع من اللحن:</u>**

- يروى أن رجلا لحن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" أرشدوا اخاكم فقد ضل"
- مر عمر بن الخطاب على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم، فقالوا: إنا قوم "متعلمين" فأعرض عنهم مغضبا وقال: والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم.
- قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال من يقرئني شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل سورة براءة، فقال: إن الله بريء من المشركين ورسولِه بالجر، فقال الأعرابي: أو قد بريء الله من رسوله؟ فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال للأعرابي: ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي ياأمير المؤمنين؟ فقال: إن الله بريء من المؤمنين ورسولُه. فقال الأعرابي: وأنا أبرأ ممن بريء الله ورسوله منهم، فأمر عمر رضي الله عنه ألا يُقريء القرآن إلا عالم باللغة.
- قالت بنت أبي الأسود الدؤلي لأبيها يوما: ماأحسنُ السماء؟ فقال لها: نجومُها، فقالت لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها، فقال لها: إذن فقولي ماأحسنَ السماء.

تمت بحمد الله